

ولا تشكل هذه القضايا الثلاث شيئاً جديداً تماماً ، فقد حدثت أمور تماثلها مرات عديدة خلال السنوات الماضية ، والواقع انه لا يمكن اكتشاف منطوق معين للأسباب التي تؤدي الى ظهورها فجأة ، واحتدام النقاش حولها ، مرة بعد الأخرى — وقد يحدث ذلك في فترة يكون فيها العدد الأسبوعي من « الأكسبريس » الفرنسية (مثلاً) موجوداً في كل مكان من بيروت ، ويخصص عدة صفحات لثتم عنصرى ودينى للعرب ، دون ان يقوم أحد ليس بمنع « الأكسبريس » او مناقشة موقفها ، ولكن حتى بعتاب مراسلها في بيروت ! وهذا ما كان يحدث فعلاً في الفترة التي كان البروفسور فنلى معرضاً لنقد شامل في صحافة بيروت ! .

على ان المهم في هذه القضايا ، والأشكال المختلفة التي تظهر فيها بين الفينة والأخرى ، هو انه طوال الفترة الماضية لم يكن بانوسع التوصل الى مقاييس وقوانين فيما يتعلق بحدود وضوابط الصلة الإعلامية والثقافية عموماً ، مع العدو — وهكذا ظلت الأمور خاضعة في معظم الأحيان لتقديرات شخصية ، وظلت الأحكام بشأنها هي الأخرى احكاماً فردية ، ومزاجية في أحيان كثيرة .

لنحاول ، فيما يلي ، القاء نظرة على هاتين القضيتين : قضية أبو حميدو ، وقضية النشاطات الإعلامية والثقافية للعدو ، وعلاقتنا بها ، على جميع المستويات .

قضية أبو حميدو

لا يمكن فهم هذه القضية دون تفكيكها الى عناصرها الأصلية ، والاطلقت بالنسبة لنا كتلة من الغموض ، ومن الانفعالات التي لا تفسر ، وبالتالي لا يمكن حلها . وانى أرى انه كي يكون بوسعنا الاطاحة بهذه المسألة (وبالدرجة الأولى : بدلالاتها وجذورها) علينا تقسيمها الى ثلاثة أجزاء رئيسية : موقف الثورة ، اي ثورة ، من الانتهاكات التي يرتكبها عناصرها — الاغتصاب وجرائم العرض — علاقة المقاومة بالاهالي .

أ — موقف الثورة من الانتهاكات التي يرتكبها أعضاؤها :

لا يجادل أحد في أن الثورات عادة تطلب من عناصرها درجة عالية من الانضباط المسلكي، خصوصاً ازاء تقاليد الجماهير في فترات الاحتكاك معها في عهود الكفاح المسلح . ويصل هذا الانضباط الى حد جعل الكثير من المفكرين ومؤرخي الثورات يعتقدون ان احد الاخطار الكبيرة التي تواجهه الجيوش الثورية هي تحولها ، نتيجة للضبط الحديدي لمسلكتها ، الى قوة محافظة في المستقبل . ويقول لنا جون ريد ، مثلاً ، ان التعليمات التي حملها الجيش الاحمر معه حين اكتسح المقاطعات الإسلامية في الصين ابان الثورة كانت تطلب بمسلكية معينة وقاسية لا تكاد تصدق ، الى حد كانت معه تعليمات الرئيس ماو للجنود الصينيين تصل الى الطلب بأن لا يتلفظوا قط ، أمام المسلمين ، بكلمة « كلب » او « خنزير » او « خمر » .

وليس استثنائياً على الاطلاق ان يقوم الجيش الثوري باعدام عنصر من عناصره اذا ما اغتصب فتاة ، وقد حدث ذلك مرات لا يحصيها العد ، بل ان الجيوش الثورية ، في فترات احتدام حرب الشعب الوطنية ، تصدر احكاماً بالاعدام على عناصر من صفوفها لأسباب تبدو أحياناً ، اذا ما نظر اليها من الخارج ، أقل شأناً من الاغتصاب .

ومن هنا فان الحكم باعدام فدائي اغتصب قرؤية هو من حيث المبدأ اجراء لا يمكن وصفه بأنه غريب أو انه استثنائي ، ولكن اصدار حكم من هذا النوع يجب أن يرتبط ، من بين أمور عديدة ، بأمرين أساسيين : أولهما : التحقيق بالامر وفق أصول علمية ، ذلك لان جريمة الاغتصاب هي واحدة من أعقد الحالات الجرمية ، خصوصاً اذا ما نظر اليها من زاوية ثورية ، وليس من زاوية الانسحاق في نسخ التقاليد بصورة آلية . (وسنرى